طرائف من ادب العرب

(١٠)

من العقد الفريد

مقام الشعر

« قال عمر بن الخطاب الشعر جدل من كلام العرب يكنّ به الغيظ وتطفأ به النائرة و يبلغ لهُ القوم في ناديهم و يعطى به السائل . فقال ابن عباس الشعر علم العرب وديوانها فتعلموهُ وعلّموهُ بشعر الحجاز . فأحسبهُ ذهب الى شعر الحجاز وحضّ عليهِ اذ لغتهم اوسط اللغات »

وفي جمهرة اشعار العرب عن ابن عائشة قولهُ : قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم بهِ في نواديها (١) وتسلّ بهِ الضغائن بينها . وهذا يشبه ما نسب الى عمر . والجدل (بالدال و بالزاي) فيما نسب الى عمر القطعة وهي اسم . اما الجزل فيما نسب الى النبي فصفة ومعناها معروف

عمرو بن العاص بين الشعراء

« قال عمرو بن العاص يوم صفين :

شبت الحرب فاعددت لها ... مُقرِع الحارك (٣) محبوك الشَّجَا (٤)
يعمل الشدّ (٥) بشدّ فاذا ... وتث الخيل عن الشدّ نَسَجَ (٦)
جُرشعٌ (٧) اعظمهُ جفرتهُ ... فاذ ابتلّ من الماء خَرَجَ »

والشعر الذي تضطرّ الى مراجعة قواميس اللغة لفهم الفاظهِ ليس بالشعر كما تفهمهُ في

---

(١) النوادي جمع نادٍ وقد اشتهر بين كتاب هذا الزمان ان جمع نادٍ اندية لا نوادٍ فاذا بالكلمة واردة في حديث نبوي . واحسب ان الذي حمل بعض الكتاب على انكارها عدم وجودها في قاموس وهذا ليس بالحجة التي يستند اليها اذ القواميس لا تذكر الجموع كلها دائماً . ومن هذا القبيل كلمة زهور جمع زهر . فقد ورد في الجزء الثالث من العقد قولهُ : ولقي ابو العتاهية الحسن بن هانيء (ابا نواس) فقال لهُ انت الذي لا تنزل الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك » وكفى بالقائل والناقل حجتين الاّ ان يقال لنا انّ هذه من غلطات العقد ايضاً (٢) اي كشف عريضة (٣) اي ظهر شجاع الخلق (٤) العدو والجري (٥) اسرع سيراً (٦) العظيم الصدر (٧) جوف صدره او وسطهُ

هذا الزمان وكما قالهُ المتقدمون والمولدون ولكن هذا شعر اكثر الجاهليين والمخضرمين وقد كان ابن العاصي منهم

***

وعلى ذكر شعر عمرو بن العاصي ولفظهِ الفحم اقول ان ممن قرض الشعر ابا سفيان ابا معاوية . قال في غزوة أُحُد يذكر صبرهُ ومعاونة شداد بن الاسود المكنى بابن شعوب اياهُ على قتل حنظلة بن ابي عامر الملقب بغسيل الملائكة :

ولو شئت نجاني كُمَيْت(١) طمرةٌ ولم احمل النعماء(٢) لابن شعوب
فما زال مهري مزجر الكلب منهمُ لدن غدوة(٣) حتى دنت لغروبي

تشابه المأثور

المأثور من القول المنقول خلفاً عن سلف . وكثيراً ما تشابه الاقوال تشابهاً اما ان يكون سببهُ ما يحمونهُ في الشعر توارد الخواطر . واما ان يكون القائل اللاحق ناقلاً عن السابق . وهذا النقل اما ان تكون لهُ اشارة فهو حينئذٍ مشروع لانهُ من قبيل الاستشهاد واما ان يكون غفلاً من كل اشارة فهو حينئذٍ ما يسميهِ الشعراء سرقة . جاء في العقد الفريد:

« وكان عبد الله بن عمر (بن الخطاب) يحب ولدهُ سالماً حبًّا مفرطاً فلامهُ الناس في ذلك فقال :

يلومونني في سالم والومهم وجلدة بين العين والانف سالمُ

وقال ان ابني سالماً يحب الله حبًّا لو لم يخفهُ ما عصاهُ »

وفي الجزء الثاني من البيان والتبيين ما يأتي : قال يزيد (كذا) لابن ابي مسلم « قال ابي للحجاج انما انت جلدة ما بين عيني وانا اقول انك جلدة وجهي كلهِ » . وجاء في مكان آخر منهُ : خطب الوليد فقال « ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عيني ألا وانهُ جلدة وجهي كلهِ » . وفي الروايتين فرق كبير بين القائل والمقول فيهِ والقائل الوليد لا يزيد

وفي الجزء الاول منهُ : خطب الوليد بن عبد الملك فقال : ويلي ذلك ما في الرواية السابقة . وجاء في العقد : وكان الوليد بن عبد الملك يقول الحجاج جلدة ما بين عيني

(١) كميت فرس بين الاسود والاحمر . والطمرة الفرس الجواد (٢) ابيد البيضاء لان ابن شعوب اسلمهُ من حنظلة (٣) والغداة يستفهمون بهذا البيت على قطع لدن عن الاضافة لفظاً مع كلمة غدوة منصوبة بعدها او مرفوعة . على انهُ يجوز ايضاً جرّها على الاصل

واني وانا اقول انهُ جلدة وجهي كلهِ » والخطأ واضح هنا والصواب وكان الوليد بن عبد الملك يقول : كان عبد الملك يقول الحجاج الخ »

وفي البيان والتبيين ايضاً قولهُ « لما استعمل يزيد (كذا) ابنَ ابي مسلم بعد الحجاج قال أنا كم سقط منهُ درهم فوجد ديناراً » . والصواب لما استعمل الوليد بن عبد الملك يزيد بن ابي مسلم ... الخ . وقد اصلح هذا الخطأ في مكان آخر . وقيل هذا القول او ما يشبههُ في حديث بين الحجاج وام البنين بنت عبد الملك بن مروان على ما اذكر

وفي البيان والتبيين ايضاً : قال بعضهم دعا رجل علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجههُ الى طعام فقال « نأتيك على ان لا تكلف لنا ما ليس عندك » . وجاء في موضع آخر منهُ : كان شيخ يأتي ابن المقفع فالحَّ عليهِ يسألهُ الغداء عندهُ وفي ذلك يقول « انك تظن اني اتكلف لك شيئاً لا والله لا اقدم اليك الاَّ ما عندي » وهذا الكلام يقال كل يوم فالتشابه فيهِ طبيعي ولا يحسب تواردا بالمعنى المعروف

اما قول عبد الله بن عمر « ان ابني سالماً يحبُّ الله حبًّا لو لم يخفهُ لم يعصهِ » فلهُ ما يشبههُ في حديث وهو « نعم العبد صهيبٌ لو لم يخف الله لم يعصهِ »

وجاء في المقالة السالفة من هذه السلسلة قولان متشابهان روي الواحد منهما عن عبد الملك بن مروان والآخر عن حسّان

العزل المشروع

« قال الحجاج : دخلت المدينة فقصدت الى مسجد النبي صلى الله عليهِ وسلم فاذا بابي هريرة قد اكب الناس عليهِ يسألونهُ . فقلت افرجوا لي عن وجههِ فافرج لي عنهُ . فقلت لهُ انما اقول هذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما خيال اروى وخيال تكتما
تريك وجهاً ضاحكاً ومعصما وساعداً عبلاً وكفًّا أبرما

فما تقول فيهِ . قال قد كان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ينشد مثل هذا في المسجد فلا ينكرهُ . ودخل كعب بن زهير على النبي قبل صلاة الصبح فمثل بين يديهِ وانشد

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيم اثرها لم يفدَ مكبولُ
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الاَّ اغنُّ غضيض الطرف مكحولُ

(الى آخر ما هناك من الغزل) ثم خرج من هذا الى مدح النبي فكساهُ برداً اشتراهُ منهُ معاوية بعشرين الفاً

ومن شعر عروة بن اذينة وهو من فقهاء المدينة وعبادها وكان من ارق الناس شعراً :

قالت وابثتها وجدي وبحت بهِ قد كنت عندي تحت الستر فاستترِ
أأنت تبصر من حولي نقلت لها غطّي هواك وما القى على بصري

وقد وقفت عليهِ امرأة فقالت لهُ انت الذي يقال فيك الرجل الصالح وانت القائل :

اذا وجدت اوار الحبّ في كبدي غدوت نحو سقاء الماء ابتردُ
هذا بردت ببرد الماء ظاهرهُ فمن لنار على الاحشاء تتقدُ

والله ما قال هذا رجل صالح » . قال صاحب العقد « وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله بل لم يكن مرائياً ولكنهُ كان مصدوراً فنفث »

حكاية كعب بن زهير

اما قصيدة كعب بن زهير التي تغزل فيها بالنبي ثم مدحهُ فحكايتها مشهورة . وفحواها انهُ لما بلغ النبي ان كعب بن زهير بن ابي سلمى هجاهُ وقال منهُ اهدر دمهُ . فكتب اليهِ اخوهُ بجير يخبرهُ ذلك فضاقت بهِ الارض ولم يدر فيم النجاة فاتى ابا بكر فاستجارهُ . فقال اكره ان اجير على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وقد اهدر دمك . فاتى عمر فقال لهُ مثل ذلك . فاتى عليّاً فقال ادلك على امر تنجو بهِ قال وما هو . قال تصلي مع رسول الله فاذا انصرف فقم خلفهُ وقل يدك يا رسول الله ابايعك . فانهُ سيناولك يدهُ فاستجرهُ فاني ارجو ان يرحمك . ففعل فتناولهُ رسول الله يدهُ استجارهُ وانشد قصيدتهُ المشار اليها وفيها يقول

انبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ

فمنّ عليهِ وامنهُ على نفسهِ

اما رواية ابي الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني فخلاصتها : لما اسلم بجير اخو كعب قال كعب :

ألا ابلغا عني بجيراً رسالة على اي شيء ويب غيرك دلّكا
على خلق لم تلفِ اماً ولا اباً عليهِ ولم تدرك عليهِ اخاكا
سقاك ابو بكر بكاس روية فانهلك المأمون منها وعلّكا

ويروى المشهور . فبلغت ابياتهُ هذه النبي فاهدر دمهُ وقال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتلهُ فكتب اليهِ اخوهُ بجير يخبرهُ وقال لهُ اقبلْ وما اراك بمقتل . ثم كتب اليهِ يأمرهُ ان يُسلم فاسلم وقال القصيدة (المذكورة) ثم اقبل حتى اناخ راحلتهُ بباب مسجد الرسول . وكان مجلسهُ من اصحابهِ مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة ثم حلقة وهو وسطهم فاقبل

كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس الى رسول الله فقال يا رسول الله الامان . قال ومن انت قال كعب بن زهير . قال انت الذي يقول — كيف قال يا ابا بكر — فانشده حتى بلغ الى قوله :

سقاك ابو بكر بكاس روية وانهلك المأمون منها وعلّكا

فقال الرسول مأمون والله . ثم انشده كعب قصيدته .

وكعب هذا هو ابن زهير بن ابي سلمى صاحب المعلقة التي هي اشهر من « نفانبك » والتي يقول فيها ومن ومن ومن الى العشر . اما قصيدة كعب فمن « المشوبات » واشهر اصحابها نابغة بني جعدة والقطامي والحطيئة نقيب

شؤون مراكش

وقفنا على مقالة بديعة للسر اشمد بارتلت الكاتب الانكليزي نشرها في مجلة سترانند ذكر فيها بعض من لقيهم من مشاهير الانام وبينهم مولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى السابق قال : —

« كنت جالساً في غرفتي ذات ليلة من ليالي شهر يونيو الخارجة سنة ١٩٠٧ واذا بالباب يقرع فلما فتحته رأيت امامي رجلاً لم تقع عيني عليه منذ ثلاث سنوات واخر مرة رأيته فيها كان في يوكاها ببلاد اليابان زمن الحرب الروسية اليابانية . وهو من الافاقين الذين لا يُعرَف ماضيهم ولا يُؤبَه بمستقبلهم فقصّ عليّ سبب زيارته بعد ان وثق مني بكتمان سره قال : — « انت الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يساعدني فقد اتيت من المغرب الاقصى والبلاد كثيرة الخيرات جداً والحال فيها فوضى الآن فان سلطانها عبد العزيز غادر مدينة فاس واقام في طنجة واقام اخوه مولاي عبد الحفيظ وادّعى الملك وهو ذاهب الآن الى فاس . والالمان باذلون جهدهم قصد اخذ الامتيازات وكذلك الفرنسويون . وقد شقّت القبائل عصا الطاعة في كل مكان ولم يجسر احد من الاوربيين على الذهاب الى فاس منذ سنة ونصف الى الآن »

فخيّل لي اني اري امامي مجالاً واسعاً للكسب وقلت له وانت ماذا تطلب مني

فقال « ان تساعدني في بيع البنادق لاهل تلك البلاد حتى يحارب بعضهم بعضاً وهم